تربويات

لست مثلك

إعداد

أ.د/ خالد محمود عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس

وعميد كلية التربية بنين بالقاهرة

جامعة الأزهر.

تربويات

لست مثلك

كلمة الكثير من الآباء يسمعونها من أبنائهم بين الحين والآخر خاصة عند مناقشتهم الأبناء في مستقبلهم واختياراتهم التعليمية والوظيفي؛ فيقدم الوالد فكره وخلاصة تجاربه لابنه، ويريد منه أن يسلك الطريق أو التخصص نفسه؛ كي يكمل بعده المشوار في طريق سهل معروف معبد يجد فيه الداعمين بحب وبدون مقابل؛ فيصدم الأب من رد الابن عليه بقوله.. **أنا لست مثلك**.

وهي مقولة رغم صعوبتها ومراراتها صادقة تماما دينيا ونفسيا وتربويا واجتماعيا، ولكنها صادمة من فرط صراحتها، حتى يصاب الأب أحيانا بالحزن والاكتئاب، وقد يصب جام غضبه على ابنه؛ خاصة إذا كان الوالد في مجال علمي أو وظيفي مرموق، فمن أنت أيها الابن كي تقول لوالدك الاستاذ أو العميد أو القاضي أو الضابط او رجل الأعمال الناجح.. أنا لست مثلك، هل تستنكف أن تكون مثلي وأنا الناجح المتميز الذي يشار إليه في مجال تخصصه، ويرغب العشرات بل المئات من أمثالك ان يجلسوا معي دقائق أو حتى مصافحتي في الطريق!..

ويحتدم صراع الأجيال التفضيلات ووجهات النظر.. وبعد أن تهدأ العاصفة، ويجلس الوالد مع نفسه يفكر فيما قاله ابنه يجد أنه كلام صحيح مائة في المائة.، فمن منا مثل الآخر؛ بل من منا مثل نفسه مع اختلاف المواقف والأشخاص؟!

فالله خلق الناس مختلفين؛ فالاختلاف سنة الله في الكون، وهو مطلب لنجاح الحياة، ولحل هذه الاشكالية التي تواجهنا في بيوتنا بين الحين والآخر فإنه يمكننا أن نستخدم **عدة استراتيجيات ناجعة في توجيه الأبناء؛ أهمها:**

-**المعايشة:** وهي أن الوالد فترة كبيرة من وقته مع أبنائه، فلا يجلس كل واحد في غرفة ولا يلتقون إلا على الطعام، فجلوس الوالد مع أولاده يزيد بينهم الألفة والمحبة، ويفتح بينهما قنوات للتواصل، فيأتلف الولد بوالده والعكس؛ ومن ثم يكون الوالد اكثر فهما بشخصية ابنه او ابنته، وما يحبه وما يكرهه، وما يتمتع به من مهارات، وما لديه من تفضيلات واتجاهات، كما يصبح الولد أكثر استعدادا لتقبل توجيهات والده فقد الفه وفهمه وأحبه، فالأبوة ليست فقط طعام وشراب وكساء ومدارس .. وإنما الأبوة دور ووجدان وصلة وتواصل وحب وحنان، ويظل الابن في حاجة إلى عطف وحنان والده، فكم نشعر بأننا أطفال صغار إذا جلسنا أمام والدينا، يحتضنوننا ويداعبوننا فنشعر معهم بالصداقة والحنان الذي لا نجده في مكان آخر، وإذا أحبك الابن استمع إليك، وإذا استمع غليك استجاب لك، وإن رفض رفض بدبلوماسية

وادب جم، ويكون مقنعا لك، وحينها تشعر بان "العيال كبرت" وتسعد بهم ولو اختلفوا معهم، لأن أصبح لهم شخصية وكيان ووجهة نظر.

-**المناقشة:** المناقشة تكون حول في قضية أو موضوع، وهناك آراء وتساؤلات حولها، وأجوبة متنوعة من أكثر من طرف، وعلى كل طرف يجيب عن الأسئلة ونناقشه في إجابتها؛ لا لكي نختلف وإنما لتكوين تصور عام أو تصورات متعددة حول قضية واحدة ولكل تصور وجاهته وأدلته.

وهي تحتاج لشخصية محنكة قادرة على إدارة المناقشة، وتوجيه الأسئلة، وجمع الإجابات المختلفة، والأدلة عليها، وتنسيقها في نمط فكري رائع يقنع جميع المناقشين في جو ديمقراطي قائم على الاحترام المتبادل؛ من أجل الوصول إلى حلول أو راء متنوعة، وهي مناسبة مع الأبناء خاصة في مرحلة المراهقة وما بعدها.

-**الحوار:** الحوار يكون حول موضوع ما، ويتحدث حوله المشاركون كل يعرض جانبا من جوانبه حتى تكتمل الصورة كاملة، فكل معلومة قطعة في أحجية، تتكامل حتى تكتمل الصورة تماما، وهي مناسبة مع الأبناء الناضجين كالجامعيين أو من أنهى دراسته.

-**لعب الأدوار:** وهنا يتحدث الوالد مع أبنائه وبناته خاصة الصغار عن القضايا المختلفة كنوع التعليم والوظائف .. وغيرها، وتحول في شكل أدوار، بحيث يتقمص الطفل شخصية ما في وظيفة ما، ويبدأ يشرح ما الذي يمكن أن يفعله لو كان طبيبا أو معلما أو ضابطا.. وغير ذلك، ومن هنا تظهر ميول الطفل وتفضيلاته، ويمكن للآباء تعزيزها كي تكون مستقبلهم، فتحول اللعبة إلى حقيقة وحياة يعيشونها.

-**التساؤل الذاتي:** هي مجموعة من الخطوات تدرب الابن على توجيه الأسئلة لنفسه ومحاولته التفكير للإجابة عنها ومن خلال البحث وجمع المعلومات، وتعود الاطفال على ذلك يمنحهم القدرة على تناول الموضوعات بما في ذلك مستقبلهم ومناقشتها مع أنفسهم بموضوعية؛ كي يصل بنفسه إلى اتخاذ القرار الذي يناسبه.

إنها استراتيجية تساعد على نمو التفكير والشخصية لدى الابناء، ومن ثم يتمتعون بمهارات التفكير التي تساعدهم على اتخاذ القرار المناسب في كل القضايا التي تهمهم، مع تقديم الدعم لهم من الكبار عند الحاجة، وبمعنى بسيط نحن نقول له" عقلك في راسك اعرف خلاصك "

-**التوجيه المباشر وغير المباشر:** الصلح مع الصغار، بينما التوجه غير المباشر يصلح مع الكبار أكثر من الصغار، فالمراهقون مثلا لا يحبون من يوجه الأوامر التعليمات، فلديهم أحساس بأنهم قد أصبحوا كبارا، فعلينا أن نحترم فيهم هذا الأمر، فنتابعهم من بعيد ونلقي لهم بتوجيهات خفيفة بين الحين والآخر تساعدهم على اتخاذ القرار المناسب دون المس باستقلاليتهم؛ مثل " أنا لو مكانك كنت عملت كذا.." " لو أخذت رأيي هقولك اعمل كذا وكذا"؛ وبالتالي يكون الكبار اتخذ القرار من خلال دفع الصغار للطريق المراد خطة خطوة دون شعور منهم.

يقول سقراط: "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم". "إغاثة اللهفان" (2/ 265)، " الملل والنحل" للشهرستاني (144/2) ولكن هذا في أمور الدنيا وليس في الدين والقيم والأخلاق فهي لا تتغير ولو تغيرت الأزمان.

لقد حثنا الإسلام على التفكير واتخاذ القرار والمسئولية عن القرار خاصة بعد البلوغ، قال تعالي: "**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**" (الشمس: 8)). وقال تعالى: "**بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**" (القيامة: 14)، ولأهمية التفكير الصحيح والتعقل دليل على ذكاء الشخص في اتخاذ القرار، والذي جعله رسول الله من الرزق؛ حيث قال- صلى الله عليه وسلم-: "**ذكاء المرء محسوب عليه ".**

-ويقول الشاعر:

إذا أبصرت ذا فضل فقيرا ... فلا تعجب لفقر في يديه

فقد قال الرسول مقال صدق... ذكاء المرء محسوب عليه

إن التعامل مع الأبناء في فترات العمر المتتابعة يحتاج منا إلى حنكة وذكاء، وتغيير لاستراتيجيات التعامل معهم، تختلف باختلاف الأعمار والمواقف والشخصيات، وإذا فعلت ذلك سوف تحقق الانسجام مع أبنائك ولن تسمع منهم في يوم ما: "**أنا لست مثلك**" ولو كانوا كذلك.

أ.د/ خالد محمود عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة